

## كيف واجهوا عاهاتهم؟!؟

الدكتور حسان شمسي باشا

تشير إحصائيات اليونيسيف إلى أن هناك أكثر من خمسمائة مليون معاق في العالم ، منهم 42 مليوناً يعانون من إعاقة في البصر ، و 70 مليوناً يعانون من إعاقة في السمع . وقد يكون سبب تلك العاهات عوامل وراثية ، أو أمراضاً تصيب الأم أو الطفل ، أو نتيجة حوادث وكوارث أو أمراض أتت في مرحلة من مراحل العمر . والأدباء مثل كل المخلوقات ، ألمت بهم العاهات ، فمنهم من تلقاها بالبصر ورحابة الصدر، ومنهم من حزن وسالت دموعه ، ومنهم من سخر منها وتصدى لها . وفي كل هذا وذاك أوحى إليهم تلك الإصابات شعراً ، وفاضت أنفسهم بشعر نضحت حروفه بالحزن والمرارة .

وقد ألف الصفدي كتاباً عن العميان أسماه " نكت الهميان في نكت العميان " ، كما ألف الجاحظ كتاباً بعنوان " البرصان والعرجان والعميان والحولان " ، أما نصير الجواهري وكارين صادر فقد ألفا معجماً للأدباء ذوي العاهات . والحقيقة أن عاهة البصر شغلت أكبر حيز مما يمكن أن نسميه " أدب العاهات " . فهناك عدد كبير من الشعراء ممن أصيب بالعمى ونظم في عماء شعراً مؤثراً . ومن المفارقات أن يصيب الجدري عدداً من الشعراء في سن الطفولة ، ويخلف عندهم العمى الذي يرزحون تحت وطأته بقية عمرهم .

فهذا أبو العلاء المعري اعتل بالجدري في السنة الرابعة من عمره ، فعمي منه ، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة . ولم يمنعه العمى من أن يلعب النرد والشطرنج ، حتى أنه قال مرة : " أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر " . ولزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين ، أي حبس نفسه في منزله ، وحبسه بصره بالعمى . ولما مات وقف على قبره 84 شاعراً يرثونه . يقول عن عماء :

ففي فؤادي وقلبي منهما نور

إن يأخذ الله من عيني نورهما

وفي فمي صارم بالقول مشهور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل

وهذا عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين وقد أصيب بالجدري في الثالثة من عمره فكف بصره .  
وكان يقرأ كثيرا لأبي العلاء المعري ، ويقلده في أحواله وتصرفاته .  
أما الشاعر العراقي عبد الحميد الألوسي ( المتوفى عام 1324 هـ ) فقد عمي ولم يبلغ عامه الواحد  
بسبب إصابته بالجدري .

ومن أصيب بالجدري فعمي أبو البقاء العكبري عالم النحو الشهير وصاحب كتاب  
" إعراب القرآن " و " إعراب الحديث " . وكانت طريقته في التأليف أن يطلب ما صنف من الكتب في  
الموضوع ، فيقرأها عليه بعض تلاميذه ، ثم يملي من آرائه وتمحيصه وما علق في ذهنه ، ولذلك قيل عنه  
إنه " تلميذ تلاميذه " .

وهذا بشار بن برد كان أعمى جاحظ العينين ، مجدور الوجه ، وقد قال في عماء :

عميت جنينا والذكاء من العمى      فجئت عجيب الظن للعم موثلا

ومما اشتهر له قوله في الأذن التي أغنته عن العين :

يا قومي أذني لبعض الحي عاشقة      والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ومن الأدباء والشعراء من عمي في سن متقدمة . فهذا صالح بن عبد القدوس الأزدي  
( المتوفى سنة 160 هـ ) يقول في رثاء عينيه :

وكنت كريمتي وسراج وجهي      وكانت لي بك الدنيا تطيب

على الدنيا السلام فما لشيخ      ضير العين في الدنيا نصيب

يمينني الطبيب شفاء عيني      وما غير الإله لها طيب

إذا ما مات بعضك فابك بعضا      فإن البعض من بعض قريب

وهذا الشاعر العباسي الفضل بن جعفر الذي لقب بالبصير لذكائه وفطنته .

يقول متفاخرا بنفاذ بصيرته :

لئن كان يهديني الغلام لوجهي      ويقتادني في السير إذا أنا راكب

فقد يستضيء القوم لي في أمورهم      ويخبو ضياء العين والرأي ثاقب

أما الإمام الشاطبي صاحب القصيدة المشهورة في القراءات والمعروفة بـ " الشاطبية " فقد كان ضريرا ، وكان إذا ما قرئ عليه البخاري ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه .  
ويروى أن الأمير الأديب أحمد بن المختار ( المتوفى سنة 548 هـ ) مات له ابن فبكى عليه حتى ذهبت إحدى عينيه ثم تلتها العين الأخرى ، فقال في عينيه :

كأنما آلى على نفسه                      أن لا يرى شملا لاثنين  
لم يكفه ما نال من مهجتي                  حتى أصاب العين بالعين

والرسول صلى الله عليه وسلم يذكر من فقد عينيه بعظم الجزاء إذا ما صبر على بلواه فيقول : " إن الله عز وجل قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة " يريد عينيه ، رواه البخاري .

### آفات العين :

ومن الشعراء من كان أشتَر العين ، والشتر هو انقلاب الجفن من أعلى إلى أسفل . وفهم الأشتَر النخعي ، الشاعر والخطيب البليغ المتوفى سنة 37 هـ ، وقد ذهبت عينه في موقعة اليرموك ، ومن هنا كان لقبه الأشتَر .

ومنهم أبو الحكم المغربي ( المتوفى عام 49 هـ ) وقد كان شاعرا وطيبا أندلسي الأصل ، ولد في اليمن . وبسبب شتر عينه قال فيه عرقلة :

لنا طيب شاعر أشتَر                      أراحنا الله من طبه الله

ما عاد في صبحه يوم فتى                  إلا وفي باقيه رثاه

ويبين أبو الحكم كيف انشج وجهه وأصبح أشتَر بعد أن وقع على الأرض وهو سكران فقال :

وقعت على رأسي وطارت عمامي              وضاع شمشكي وانبطحت على الأرض

وقمت وأسراب الدماء بلحيتي              ووجهي وبعض الشر أهون من بعض

ومن الشعراء من أصيب بالعمور ، ومنهم الراعي النميري ( المتوفى عام 90 هـ ) ، وكان شاعرا أمويا فحلا ، لقب بالراعي لكثرة ما وصف الإبل فأجاد .

ومنهم عامر بن الطفيل أحد شعراء الجاهلية وأسيادها . وكان أعور عقيما ، وفي ذلك يقول :

## لبس الفتى إن كنت أعور عاقرا جباناً فما عذري لدى كل محضر

وعرف بأنه كان من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال للرسول عليه الصلاة والسلام : ( تجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأمر من بعدك وأسلم ) ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم اكفني عامر وأهل بني عامر " . فانصرف ابن طفيل وهو يقول : لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجلاً مرداً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ) ، إلا إنه مات في طريقه قبل أن يبلغ قومه .

### صمم الأدباء :

ومن الأدباء من كان أصم لا يسمع ، ومنهم قفطان النجفي ( المتوفى سنة 1293 هـ ) وكان من أشهر أدباء النجف وأحد علمائها في النحو العروض . ورغم صممه كان يفهم المراد لأول وهلة من المتكلم ، ويفهم حركات شفثيه حتى أن المنشد كان يقرأ البيت فيسبقه إلى قافيته . وهذا الشاعر المصري ابن الحباس الدمياطي ( المتوفى سنة 743 هـ ) لحقه صمم فقال :

إن قل سمعي إن لي فهما توفر معه سهم  
يدي إلي مقاصدي ويروقك الرمح الأصم

أما الشيخ محمد حميدة المعروف بالشيخ حمدو الناصر الأصم ، صاحب تخميس البردة والمتوفى عام 1321 هـ ، فقد ذكر صاحب أعلام النبلاء بأنه اصطنع لنفسه مصاصة متصلة بماسورة معدنية ، وفي آخرها فنجان مثقوب فمن أراد أن يكلمه ، وضع الفنجان على فمه ، والمصاصة في أذن الأصم ، فيسمع بيسر أكثر .

وهذا مصطفى صادق الرافعي أحد كبار الكتاب وأدباء العصر الحديث ، ولم ينل سوى الشهادة الابتدائية ، إذ مرض بعدها بالتيفوئيد ، وأصيب بصمم في أذنيه ، وحبسة في صوته، وكان هذا سبباً يباعد بينه وبين الناس من ناحية ، ويحثه على البحث والمطالعة من ناحية أخرى .

### آفات الكلام :

ومن الأدباء والشعراء من أصيب بلثغة في نطقه ، أو حبسة في لسانه ، فهذا وصل بن عطاء كان أديباً بليغاً ، وأشير إلى بلاغته وقدرته على التعبير ، رغم كونه مصاباً بلثغة قبيحة ، كان معها يتحرج من النطق

بحرف الراء ، ولكنه استطاع تجنب هذا الحرف ، فقال مثلا " الأعمى " ولم يقل " الضيرير " ، وقال " الملحد " ولم يقل " الكافر " .

وأما الشاعر الشهير أبو تمام ، فيقال أنه لقبه أبو تمام يعود لحبسة شديدة في لسانه . وفي ذلك يقول  
مخلد الموصللي :

يا نبي الله في الشعر يا عيسى بن مريم

أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

ومنهم أفلح بن يسار المتوفى سنة 180 هـ وكان من الشعراء المجيدين ، إلا أنه كان يجمع في نطقه بين  
لثغة ولكنة ، فلا يكاد يفهم كلامه ، فكان يقول " ززادة " بدلا من  
" جرادة " ، ويقول " أذن " ويعني بها " أظن " .

وأما البيغاء المخزومي الشاعر فقد عرف بالبيغاء للثغة قبيحة كانت في لسانه .

### العرج :

من أشهر العرجان أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا وبطلا من أبطال قريش ،  
عيرته بعض نسائه بالعرج فقال :

قالت عرجت فقد عرجت فما الذي أنكرت من جلدي وحسن فعالي

ويروى أن عبد الحميد بن عبد الرحمن والي الكوفة كان أعرج ، وكان قائد شرطته القعقاع بن سويد أعرج  
، وكان كاتبه سليمان بن كيسان أعرج ، فخرج الثلاثة مرة ، وكان الحكم بن عبدل الشاعر أعرج أيضا  
فراهم يجمعون فقال :

ألق العصا ودع التخادع والتمس عملا فهذي دولة العرجان

لأميرنا وأمير شرطتنا معا يا قومنا لكليهما رجلان

ومن العرجان أبو رائد الضبي ، ثم عمي ، ثم أقعد من رجليه ، فقال حين عمي ، وقد كان ابن حبيب  
وهب له عصا حين عرج ، وكان يمشي عليها :

وهبت عصا العرجان عوننا ومرفقا فأين عصا العميان يا بن حبيب

فقد صرت أعمى بعد أن كنت أعرجا أنوء على عود أصم صليب

## عاهات مكتسبة :

بعض الأدباء فقد طرفا من أطرافه ، فتأثر بذلك وصاغ شعرا ، فهذا عبد الله بن سيرة الشاعر الفارس  
قطعت بعض أصابعه في معركة الجسر أثناء فتح العراق ، فقال يرثي أصابعه

يمنى يدي غدت مني مفارقة      أعزز علي بها إذ بان فانصدعا

فإن يكن أرطبون الروم قطعها      فقد تركت بها أوصاله قطعاً

ويروى أن امرأة من جيرانه عبثت بها عطار ، فلما أضجرها قالت : لو أن عبد الله بن سيرة بقربي ما  
طمعت في . فبلغه مقالته وهو في غزوة في أرمينية ، فترك مركزه ، وقدم الشام وقتل الرجل ثم رجع إلى  
مكانه من غزاته .

وهذا رافع بن الأقطع أمير العرب بنواحي بغداد وكان شاعرا فارسا ( توفي عام 427 هـ ) عرف بالأقطع  
لفقده يده في إحدى الحروب ، فكان يلبس كفا يمسك به العنان ، ويقا تل فلا يثبت له أحد .  
وهذا حياض بن الأعور الشاعر الإسلامي قطعت رجله يوم اليرموك فألمه ذلك كثيرا وبكاها شعرا صادقا  
، ومن شعره يخاطب فرسه بعد أن قطعت رجله :

أقدم " حذام " أيها الأساوره      ولا تغرنك رجل نادره

أنا القشيري أخو المهاجره      أضرب بالسيف رؤوس الكافره

نسأل الله لكم ولنا العفو والعافية ، فما سئل الله شيئا أحب من ذلك ..